

## الحوار المعجز و أثالة الادكار

(قراءة في توصيلية الحجاج والتلقي ؛ سورة يوسف \_ عليه السلام \_أنموذجا).

محمد الأمين خلادي

جامعة أدرار

الحوار في القرآن الكريم خطاب معجز يبين للناس المنهج السليم في الحياة، والقصاص القرآني محور من محاور القرآن الكريم التي تعلم الفرد والمجتمع كيفية التخاطب مع غيره ، قصص الأنبياء أبرز نموذج وضح العلاقات بين الناس والحدود في المعاملات والأخلاق التي تؤسس منظومة البشرية وتصلح حالها وتقيم بناءها على أساس التقوى والأخوة والتسامح والخير والمحبة والمساواة.

والقرآن العظيم يعلم الإنسان التدبر في الكون ويدعوه لتوظيف المحادثة والتشاور والمحاورة في تسيير شؤونه الدينية والدنيوية ، ومنه يحصل الإنسان المسلم وغيره على آلات التوصيل والتلقي والإقناع...



Dialogue dans le discours Coranique prodigieux montre aux meilleures façons d'aborder la vie. Les histoires coraniques du pivot Coran enseignent l'individu et la société de façon à communiquer avec les autres. Les histoires des prophètes sont les premiers exemples qui ont expliqué les relations entre les personnes et les transactions transfrontalières et l'éthique qui établit le système humain adapté, évalué et construit sur la base de la piété, de fraternité, de tolérance, de bonté, de l'amour et de l'égalité.

Le Saint Coran forme l'homme et lui pousse à réfléchir sur l'univers et l'invite à s'engager la

communication, la consultation et les comportements dans la conduite de comportements religieux et de la vie quotidienne de l'être humain. Ce comportement permet d'avoir les moyens de communication, d'émission, de réception et de conviction...

### توطئة

يخلد الذكر المعجز محفوظا بيد المولى تبارك وتعالى؛ ذلك لأنه من كلام الله عزت قدرته وتعالى علياؤه وهو الحي الباقي، فيحيط الحق تبارك وتعالى بكل شيء إذ منح الخلق قدرة التدبر آلة توصيلية قائمة على التدبر والنظر والاذكار والاعتبار في آياته الناطقة علامة عليه سبحانه من قدير عليم خبير.

يحظى الإنسان بهذه الخطوة التي أثلها الخطاب القرآني بصريح الآيات الكريمة الداعية إلى أعمال العقل والتذكر في صنع الله الذي أتقن كل شيء؛ مخاطبا إياه بأوامر متعددة متنوعة في مواقع مختلفة من القرآن العظيم.

وأحسب أن النص القرآني يدعو العاقل إلى الازكار دعوة عجيبة لا تصدر إلا من خالق هذا الكون علام الغيوب؛ فمن يتأمل التأصيل القرآني لهذه الدعوة في السور ومنها قوله تعالى ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر )، حتى يوقن المرء بتلك المكانة التي يرعاها له مولاه في كل ما يتعلق بحياته الدنيوية و الأخروية.

وسأربط ذلك كله باستنباط الدلائل الإعجازية التي من شأنها تكون العقل البشري تكوينا صحيحا في تلقي بلاغة التلقي توصيلا وحجاجا ومقابلة حوارا ومحادثة؛ ثم إقناعا وكفاية بين الإيجاز والترداد جميعا، معتمدا في كل ذلك خطة فحواها:

## - تأثيل الخطاب القرآني بين حجاجية التلقي وحوارية التوصيل.

الحوار المعجز في القرآن العظيم ذو حجاجية مخصوصة لا كفو لها وقد ارتبط بالدعوة إلى عقيدة التوحيد التي أمر بها الله سبحانه وتعالى عباده وهو العليم الخبير بما يصلح لهم في دنياهم ودينهم وأخراهم؛ « و الحوار جزء هام من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل من الشخصية بوجه من الوجوه»<sup>1</sup>، و مادام الخالق تعالى عالم بمخلوقاته فإن الخطاب القصصي إذ ذاك يتناسب والشخصية تناسباً طردياً معجزاً.

كما أن حقيقة الحجاج موصولة بالحوار معنى وروحاً؛ ذلك لأن الخطاب القرآني بين في وجهة مخاطبته لكل الناس على إطلاق الدلالة التي تحملها كلمة الناس، بل وكل المخلوقات التي خاطبها المولى في قرآنه؛ كالذي حظيت به الجن والملائكة وسواهما من الحيوان والجماد والنبات ومظاهر الطبيعة وشواهد الكون؛ لذلك «يعد الحجاج باباً رئيساً في المباحث التداولية»<sup>2</sup>.

والحوار في القرآن الكريم «مقابلة بين شخصين أو أكثر يعبر عن معانيها أرفع الكلام و أسماء، وأعرقه في مرماه.. إنه صور تخرج خبايا النفوس. فيصورها خالقها من خلالها... وتكشف عن طوايا الصدور. فيعرضها الرب سبحانه على وجهها!!»<sup>3</sup>، وما أعظم تلوين الحوار وصيغ تركيبه بين موطن وآخر لقصة واحدة وهو ضرب من الإعجاز الفني بديع، ذلكم باد في القصص القرآني المكرر.

« ومن أمثل مزايا تلك الحركة المتنقلة بين أبعاد القصة في القرآن ملء الفراغات التي تكون عادة بين مقاطع الحوار، وتقع أثناء المقابلة والمصاولة حتى يشعر القارئ أو السامع أو المشاهد بأنه يعيش فعلاً مع أحداث القصة. ينتقل مع أشخاصها. ويجاور أبطالها. ويشفق لهم أو منهم أو عليهم»<sup>4</sup>، وهنا يتضح لنا موطن إعجازي فني لطيف هو تدخل القارئ عندما يتصور المشهد فيشاهده غي تلك المحذوفات من الخطاب القصصي، وكأن الحوار الفني لا يتم إلا حينما ينضاف القارئ بفكره وعواطفه إلى تلك المضامين والفنيات التي احتوتها النماذج المقروءة فتتمو روح التصوير..» لقد

خاطبت أدبية القرآن الجن والجماد، والمغيب، مخاطبتها للإنسان، تكريسا منها لمبدأ الحوار، الذي شكل أبرز فنيات الخطاب القرآني<sup>5</sup>، والحوار القصصي في القرآن الكريم يتشكل في أنواع عديدة متشعبة نذكر منها على سبيل المثال:

أ. الحوار العزوي الذاتي: ويتم بين النبي ونفسه كالذي جرى في نموذج إبراهيم حين كان يتدبر الكون من شمس وقمر فاهتدى إلى الرب الواحد بعد منطلق فريد<sup>6</sup>.

ب. الحوار المتقابل: ويقع بأضرب؛ منها:

. بين الخالق والنبي مثل تكليم الله تعالى لموسى<sup>7</sup>، و قد يكون مناجاة بين النبي وخالقه<sup>8</sup> كزكريا.

. بين نبي ونبي آخر كحوار موسى مع هارون<sup>9</sup> وإبراهيم مع إسماعيل<sup>10</sup> ويعقوب مع يوسف<sup>11</sup>.

. بين النبي والملك كالذي طرأ في قصة بداية الوحي بين محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل<sup>12</sup>.

. بين النبي والشيطان<sup>13</sup> كقصة آدم والشيطان أو بين النبي والجن كقصة سليمان مع عفريت من الجن<sup>14</sup>.

. بين النبي وشخص آخر كإبراهيم مع النمرود<sup>15</sup>.

. بين النبي وقومه وهذا كثير كنوح وقومه<sup>16</sup> وهود مع عاد<sup>17</sup> وصالح مع ثمود<sup>18</sup>.

. بين النبي والحيوان كسليمان والمهدد<sup>19</sup>.

. بين شخص وآخر كما بين قاييل وهاييل<sup>20</sup>.

والحوار مدعاة للحكمة، فلذلك يتخذ النبي حجة في الجدل والتدليل ونموذجا في التربية والتوجيه وأسلوبا في الحياة والدعوة، وذلك الذي درجت عليه كل الرسائل التوحيدية، وهو في القصة القرآنية خطاب طبع يترجم دفائن النفس البشرية وأغوارها، ويكشف عن أفكارها وعواطفها ويسطر آمالها وآلامها، بل إنه المذهب القدسي إذ يتساوق والشخصية من حيث مكانتها في الحياة أو مستواها العقلي أو الذكورة والأنوثة أو الإيمان والكفر... « كما أن صدور الخطاب القرآني في عمومته عن (أنا): (الله بالنبي، أو المتحدث الفاعل بصورة عامة) وتوجهه إلى (أنت) (مفرد.. وجمع،

غائب أو حاضر، إنس أو جن..)، يجسد المبدأ الحوارى الذى أصلته العقيدة الإسلامية، كأخلاقية تعاملية يومية، وكفعل بنائى مستديم<sup>21</sup>، فلا بدع أن الحوار القرآنى يجمع بين الحسنتين حسنة إدارة الحوادث وتناسبها مع رسم الشخصيات وحركاتها رسماً فنياً رائعاً ثم حسنة العظة والتوجيه وتوصيل المعنى.

سنُّ الأزيمة بين الجدل والتجادل: لا ينفك ذكر الحوار عن ذكر الجدل والتجادل خاصة وأن الغرض من القصص القرآنى دينى يُقدِّم على ترسيخ عقيدة التوحيد التى قوبلت بالنكران ومحاولة الإقصاء، فتناتج عن ذلك خطاب يقوم على التناقض والتضارب بين الآراء والأهواء وينتهى دوماً بالكشف عن موقف الغلبة والبيان بالحجة ثم انتصار طرف على آخر.

وسمَّيتُ ما يعرف بـ [الصراع] تلك اللفظة المقيّمة\_ الأزيمة\_ وسنَّها بين الجدل والتجادل، لأنها تسمية واردة فى القرآن الكريم خاصة فى مضمار القصص وبوجوه عديدة مثل: [الجدال/المجادلة/الجدل...]<sup>22</sup>، و لما نقف أمام المنظومة السردية القرآنية نلاحظ أن الأزيمة تتولد عن قطبين يتمايزان فى نمط المرجعية، لذا نجد الجدل وهو المناقشة بالحجج والأدلة والآية والوحي وهذا فعل الأنبياء والمرسلين، وأما التجادل فبعيد عن منطق الحكمة لأنه خطاب تهورى نابع من روح التناقم والفتنة ويراد به غالباً المضاغنة كقولنا: [تجادل القوم]، واتقاد التصادمية بين القطبين يضيفى إلى الأزيمة، وربما كان المكان مسوغاً

مادياً واقعياً تُرجمت على أرضيته تلك المفاتنة، « فالحيز بصورة عامة كان المثابة التى تشهد صعود الأزيمة، وانفراجها فى حياة شخصية»<sup>23</sup> يوسف عليه السلام، فالمكانية ألحت على أبعاد أساسها التأزيم، مثل « البعد التوطيى الاستقرارى، فالأرض فى قصة موسى مصدر صراع، والدعوة الموسوية التوحيدية فسرّها الطغاة على أنها مؤامرة تستهدف امتلاك الأرض منهم، ومن جهة أخرى فإن الله قد وعد المؤمنين اتباع موسى بأن يرثهم الأرض ويستخلفهم فيها»<sup>24</sup>.

ولأجل الاستخلاف ربط الله تعالى الخلق بالعبادة التى تتم على الأرض خدمة لما جاء به القرآن الكريم كالغرض الدينى فى القصة القرآنية، لأنه غرض بمثابة الشفاء

الذي تأفل به الأزمة من صدور الناس رغم أن « الصراع قائم في الحياة، وهو سنة استمرارها، وهو في القصة أحد عناصرها الضرورية لدفع الحدث»<sup>25</sup> وأن أتينا لتتعرف مسارات الأزمة في القصة القرآنية ألفيناها متعددة ومتنوعة ومنها:

أ. المسار الفكري: لما كانت عبادة الكواكب قد شاعت في زمن إبراهيم صار أن تأملها فاعتبرها مبدئيا ربا كالكواكب ثم القمر ثم الشمس ، حتى أصابها الأفول والزوال إذ تيقن . بفكره وبحته و تدبره المتدرج . بوحداية المعبود واهتدى إلى الصواب بعد جدل ذاتي مثمر<sup>26</sup> وقد زاد التأزم الفكري حدة لما حطم أصنام المرقة المشركين مستثنيا كبيرآلهم، فأدخل على أذهانهم حيرة وكادوا يوقنون بالهداية لولا انتكاسهم وتعاديهم حتى أرادوا تحريقه فما فلقوا وما كانوا فائزين<sup>27</sup> .

ب. المسار المادي: ويتجلى في جدل عيسى مع قومه الذين جاءهم بمعجزات مادية مرئية . وقد اشتهروا بالطب . كنفخه في الطين بإذن ربه فيكون طائرا وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى ... بل وحاجه قومه في إنزال مائدة وكان الأمر كذلك فَرَزَقُوهَا ...<sup>28</sup>

ج. المسار النفسي: كالأزمة التي عاشها صاحب الجنتين المنتفش مالا و ثروة وقد داخله الكبر فتطاول على صاحبه مغترا بالفوقية والخيلاء فنصححه صاحبه بذكر الله وزوال الدنيا ونهاية الزهو بها... و إن هي إلا سويغات حتى لحق الجنتين النكال، وههنا يقع المستعلي في مصير الهوادة الذي هو نهاية كل نفس صغيرة<sup>29</sup> .

د. المسار الاجتماعي: كذاك المطلّ علينا من صور المجتمع العربي الأمي قبل صدر الإسلام لِمَا ساد فيه من نسب البنات لله تعالى، في آنٍ وأدّ آخرون فلذات أكبادهم من البنات، متذرعين بضرورة إبعاد العار والإملاق، فيروح الأمي كاظما ما تزوم به نفسه وأوهامه من تأزمات داسا وجهه حيطة أن يلطخ بوصمة الخطيئة في المجتمع القبلي<sup>30</sup> .

هـ. المسار التاريخي: ويتجلى بوضوح بيّن وانتشار صارخ في السرد القرآني، ذلك الذي ظل قائما بين الأنبياء وأقوامهم خاصة ما شاع عن بني إسرائيل من قصص العناد والاستكبار والتكذيب والتفنن في استمراء ألوان القبح والعبث، وعُقْد الاستعلاء

والنفاق ونكران الجميل، بل تعدوا هذا كله إلى التحامل على المرسلين فأذوهم وتهكموا منهم وسلطوا عليهم ألوان المخن و المآسي وساموا مناصريهم أشد العذاب، حتى قتلوا الأنبياء، كما كان بنو إسرائيل قد فعلوا.

وأخيرا يجمل بنا أن نشير إلى منابت الفتنة والتأزيم ودواعيهما؛ فهي أجواء المغالبة المكفهرة التي جمعت بين الأنبياء ومن عصى أمر النبوة والتوحيد من أفراد وأقوام ومجتمعات عصيانا كان وليد الصد عن أمر الله تعالى، وبذلك باتت الأزمت حامية الوطيس بين قوة القوي المتين تعاضمت جبروته، وعباده المؤمنين وبين قوى الشيطان وقرنائيه، وكلاهما ينافح ويدافع عما يصبو إلى ترسيخه في الأرض فتجد نفسك متأملا سبيل الاستقامة والهدى وأنت تهتز طربا وحبا محاولا تفهم مفاوز التيه والضلال حذرا منها كمن يقف بين نماذج الإيمان والكفر أو بين الحق والباطل أو بين التلطف والتهمك أو بين العدل والجور أو بين الصبر والحماقة أو بين الحسنى والحيف أو بين النعيم والجحيم، وكل مسارات الأزمة والجدل ذات طابع روحي ديني شامل، « كل ذلك في سياق واقعي، لا تنبو فيه جزئية الخارق (المعجزة)، بل هي تؤسس على بعد توازني، تنشط به المفاعلة الصراعية التي تسجلها القصة، بدلالاتها التاريخية وبعبرتها المفتوحة على الزمان، المقررة لسنة دوام النزال بين الحق والباطل، في هذا الوجود، مهيبة بأهل الحق، في كل حين أن يتحملوا مسؤولية مناصرة الحق، والتضحية من أجله»<sup>31</sup> لأنه عراق مستدم ينتهي بتقرير الربوبية والعبودية له وحده جل وعلا، وإبلاغ الغرض الديني من خلال عقيدة التوحيد التي تجسدت في ثنايا الخطاب القصصي ومواقف الشخصيات على تناقضها والأحداث وتشابكها والزمان والمكان وتفاعلها. إذاً تلك هي جذور الأزمة الإنسانية . اليوم . وقد ترسبت آثارها في أحوال المجتمعات والأمم؛ فهي تقدم غالبا بغية افتكك الحق وقد ضاع وسط هذه الشذمة الضيزى والتسلطية الجورية الطافحة التي ما فتئت تنغص على الكون اتزانه وتوازنه.

- الإدكار: ماهيته / توصيلته / حجاجه في التلقي المعجز .

وهنا لا يمكننا إلا أن نستشهد بالقرآن الكريم نفسه وهو يؤثّل إعجازاً خاصاً به وترا يدل على طبيعة القراءة التي نادى بها ابتداءً في أول نص من سورة العلق في الآيات الخمس الأولى منه؛ ثم أكد الخطاب الإلهي عناية الله ورعايته لخلقه والإنسان بالخصوص فناداه تكررًا وترداداً في سورة القمر داعياً إياه إلى حقيقة الإدكار بالقرآن الميسر للذكر؛ وترددت اللازمة الإعجازية (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أربع مرات وذلك في الآيات 17، 22، 32، 40 وقد وردت في الآيتين 17 و 22 عقب اللازمة الأولى (فكيف كان عذابي ونذرى) مباشرة، لأنه « لما كانت هذه النذارة بُلّغت بالقرآن والمشركون معرضون عن استماعه حارمين أنفسهم من فوائده دُيّل خبرها بتنويه شأن القرآن بأنه من عند الله وأن الله يسره وسهّله لتذكّر الخلق بما يحتاجونه من التذكير مما هو هدى وإرشاد »، أما تواترها في الآيتين الأخريتين 32، 40 فقد كان تردداً مستقلاً عن اللازمة الأولى، فهو في الآية 32 تكرير مماثل لنظيره السالفين عقب قصتي قوم نوح وعاد، وهو تذييل لقصة ثمود، كما اقتضى هذا التكرير « مقام الامتنان والحثّ على التدبّر بالقرآن لأن التدبّر فيه يأتي بتجنّب الضلال ويرشد إلى مسالك الاهتداء، فهذا أهمّ من تكرير (فكيف كان عذابي ونذرى) فلذلك أوثر»<sup>32</sup> وفي الآية 40 تكرير آخر للتنويه بيسورة القرآن، ولم تُذكر هنا اللازمة الأولى (فكيف كان عذابي ونذرى) «اكتفاءً بحكاية التنكيل لقوم لوط في التعريض بتهديد المشركين»<sup>33</sup>

ومن آيات الانسجام والاتساق التي حققها ترداد هذه اللازمة التذكيرية داخل النص القمري؛ التأكيد على وحدانية النظم القرآني في لفظه ومعانيه، والانباء عن يسره ويسورته « فأما من جانب الألفاظ فذلك بكونها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التراكيب.. وأما من جانب المعاني فبوضوح انتزاعها من التراكيب ووفرة ما تحتوي عليه التراكيب منها من مغازي الغرض المسوقة هي له، وبتولّد معانٍ من معانٍ آخر كلما كزّر المتدبر تدبّره في فهمها»<sup>34</sup>

ولعلك تلحظ ما ظفرت به هذه التردادة المعجزة من إيجاز بليغ في اللفظ وقابلية لسرعة الحفظ، تطرب لهما نفس السامع ويفرح لديهما القلب.. فقلوه (يسرنا القرآن للذكر) أي أن القرآن يُسرت دلالاته وسهلت معانيه لأجل الذكر، والتذكر اللساني ثم العقلي، ولما كان الذكر موجبا للذاكر فُرع على هذا المعنى قوله (فهل من مدكر) أدكار اتعاظ واعتبار، واهتداءً و تحلّ.

وههنا نورد نصا يحاول صاحبه التركيز على أهم السمات الخاصة بالحجاج المعجز قوله «قبل المضي في تناول البيان الحجاجي في القرآن الكريم من الضروري أن نركز على المعطيات الأساسية التي يتأسس عليها الخطاب القرآني، والتي جعلته خطاباً حجاجياً بدرجة أولى؛ لأنه كما قلنا جاء ليبسط للعالمين عقيدة عالمية، تقتضي بتوظيف الآليات الحجاجية التي تحتوي العقل الإنساني وتقنعه، وهذه المعطيات هي: أ. الخطاب القرآني يسعى إلى "الإقناع"، وفي رحاب هذا الطرح فإنه يأخذ بعين الاعتبار في كلّ القضايا المعطاة كلّ ما يمكن أن يعتقده المتلقّي منذ البداية. ولذا فإنه إذا ما حاولنا الغوص في آيات القرآن الكريم وآلياته التعبيرية وأساليبه البلاغية وطروحاته المنطقية من قياس وبرهان وتمثيل فإننا نبحت في آليات الإقناع المنتهجة فيه. ب. القرآن الكريم هو خطاب موجّه إلى مخاطب كوني؛ أي أنه لا يتوسل متلقياً معيناً في زمان أو مكان مخصوصين؛ وإنما هو خطاب موجّه إلى البشرية جمعاء، فهو غير مقيّد بزمان أو مكان، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ(31))، فالرسول صلى الله عليه وسلم بُعث إلى كافة الناس.

ولذا فالقرآن الكريم يسعى إلى جعل العقيدة المبسطة فيه إلى ديانة عامة غير مقيّدة، وهنا نشير إلى أنّ" المخاطب المتخيّل هو دائماً بالنسبة لمن يحتاج عبارة عن بنية ممنهجة نوعاً ما؛ أي أنه يؤطر القول ويجعله ملائماً لظروفه الواردة فيها، والمتكلم البارع هو الذي يستحوذ حدقاً وطواعية على مدارك المعنيين بخطابه أو بنصّه طيلة فترة الاستماع في حالة الإلقاء، أو النظر التحليلي حالة القراءة"(32). والقرآن الكريم

في إطار هذا الطرح استطاع أن يؤثّر على النفوس، ويستميل العقول من أجل التدبّر في آياته ومعجزاته من أجل الاقتناع بمقاصده.

ج. كونية الخطاب القرآني جعلته يقوم على توظيف أساليب متنوعة في التبليغ، لا تتأسس على الفهم والإفهام فحسب؛ بل تقوم أيضاً على التأثير واستمالة الآخرين، واستنفارهم بغية استنهاض ملكتهم وجعلهم ينخرطون في الحركة الفكرية الموجودة في الخطاب القرآني. وهذا ما يجعل النص القرآني يفترض في طرحه للقضايا الدينية وجود متلقٍ فعلي أو مفترض، يستدعي مجاحته وإقناعه. فالقرآن الكريم قد استحضر في إنجاز كل الاعتراضات التي يمكن أن تدور في خلد المتلقي الفعلي أو المفترض، ولهذا بسط كل ما يأخذ بذلك.<sup>35</sup>»

- النموذج المعجز في قصة يوسف - عليه السلام - :

( التلقي الإعجازي وخصيصات الحوار الحجاجي )

أ / الحوار الحجاجي والقصص المعجز الأحسن:

قرر السرد القصصي حتمية الخطاب التساؤلي والحوار الفعال والحجاج التوصيلي قبل الشروع في السرد المفصل لما قال تعالى {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} يوسف 7، و السؤال بمعنى مبدأ الجدلية الحوارية الذي يلامس الواقعة اليوسفية « لذلك تأسس الخطاب القرآني على دعامة فكرية، سمت بالإنسان عن نوازع الحس البدائية، التي ظلت الديانات الأسبق تصقلها، وتهدبها فيه، فمخاطبة الكون بالفعل "إقرأ" هي إشارة هذا الانطلاق المثقف، الذي يحمل الإنسان بصيغة الإلزامية، على أن يحيا وجوده واعيا، متأملا، متسائلا، مؤسسا إدراكه وتحصيله، على روح مسؤولة... لقد كانت القراءة أبدا مشروعا حواريا «<sup>36</sup>، وهذا دليل على أن الحوار المبعوث في السردية المعجزة ناشئ عن سنة الوجود أصالة حيث قررها النص القرآني في الآيات الخمس الأولى من سورة العلق بمأمورية ربانية عالية المقام من خلال مفتاح القراءة المعجزة [اقرأ].

وهو فعل أمر تواصلني سيروري يفتح به السائلون باب الآيات آيات يوسف وإخوته الممتدة عبر حوار طلبي يجمع الاستفهام والنداء والأمر والنهي... ومنه « فإن التصريح في أدبية الخطاب القرآني، هو في الآن قول وفعل، أو هو حدث وموقف، وحين يسرد القرآن الوقائع عن طريق التصريحات والأقوال فإنه يعرض الحقيقة من مصدرها عارية مركزة على قناعاته، وحقته، وإذ يعمد القرآن إلى مسرح الأحداث، فإنه يستثمر أيضا هذه الظاهرة الخطابية، الحوارية ليقدم للعقل والوجدان مقرراته، من منطلق إيجائي مقنع، فالموضوعية هي إحدى مزايا الطرح الحوارية، إذ يمكن للعقل أن يستكنه إيجائية الموقف، من خلال تصريحات الطرفين»<sup>37</sup>، التي ضمتها المنظومة التقويلية المعجزة وهي تستند في أصلها الخطابية المعجز على ذات الله فبعد أن قرر مبدأ الحوار في قوله {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} يوسف 7 صدر له بفعل التقويل السردية {إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين} يوسف 8، وهو فعل تقويلي إخباري [قالوا] يجلبنا فيما بعد على تفاصيل الحوار بين الإخوة وبين أبيهم وغيرهم وهي تفاصيل تقابل وتعادل الحوارية المكثفة التي تمت بين يوسف ويعقوب في نص الرؤيا وتأويلها يعقوبي.

ب / تفاعل الأصوات المحاورية وإيحاءاتها الموقفية الراجحة على السرد

المشهدية اليوسفي:

تفرع الحوار على مساحة سردية شاسعة، وهو حوار يستلهم أحسنيته من الرؤيا اليوسفية إذ يغدو يوسف عليه السلام الفاعل المحوري للأحداث والوقائع كلها فما من موقف إلا ويوسف نواة الفاعلية فيه، والقطب الذي تدور حوله مفاعلة المتخاطبين « فإن الفاعل المرسل يظل واسطة تبليغية حوارية بين هذا المصدر الإلهي، وبين المرسل إليهم (قومه)، ومن هنا تختار الصلة الحوارية بين الفاعل/المرسل، وبين قومه، مساحة أوفر في سياق قصة الموقف، على أن صلة الحوار بين الفاعل/المرسل، وبين الله المصدر، تظل حيوية، توجيهها للمرسل، وتعزيدها له بواسطة القول/الوحي، وبالفعل/الخارق كذلك، ولو استعرضنا الوظيفة الحوارية»<sup>38</sup> في قصة يوسف لوجدناها حشرت شعب الحوار التي رصدت الأحداث من خلال صورة ناصعة « في النص

القرآني، وتوزيعاتها السردية الإسنادية، المحيلة على المتخاطبين، دليل على أهمية هذه الوسيلة التقريرية القرآنية القائمة على الحوار»<sup>39</sup>، الذي اتخذ شكلا دائريا يبدأ بنص الرؤيا ويختم بالتعقيب على الرؤيا نفسها.

أ. شعبة الحوار الرؤياوي التأسيسي: لعل نص الرؤيا نموذج إعجازي في أنماط الحوار المتعددة إذ تم بين الله عز وجل وبين يوسف وهو حوار إلهامي لا يخضع لمنظومة التقويل وإدارة التخاطب بين الطرفين إذ هو حوار يقذف في قلب يوسف بالوجه الذي أراده الله تعالى الخبير بكل شيء.

من أجل ذلك قص يوسف الرؤيا على أبيه بحوار تأكيدى مصر {ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين} يوسف 4، فحياه الله تعالى بجمل المعجزة الرؤياوية وتأويل الأحاديث وهو الفاعل المرسل/الشخصية الأحسنية التي تخاطب النبي يعقوب ببناء متأدب [ياأبت] وكل هذا يسم يوسف بالمقام الأسنى الذي حظي عليه في سلسلة الأنبياء فكان أن أقر السرد المعجز بذلك {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} يوسف 7.

وأما رد يعقوب على يوسف فكان ردا رفيقا حليما أيضا يتجاوب ومقام النبوة إذ أول الرؤيا إيجازا وتلميحا ليكون دلالة على أنه الحوار المكثف الذي يستل منه السرد شعب الحوار التفصيلي، كما أنه السرد الموقفى المزود بالحيوية والحركة المفاعلة لأطراف الخطاب؛ والرؤيا اليوسفية الإعجازية هي التي مهدت للخصوصية القرآنية التي لا تتكرر في الأدب البشري رغم القاسم المشترك أحيانا بين العملية الفنية ومحاولة الاقتداء بالنص القصصي المعجز، ولا بأس بالإشارة عندئذ لما أكده الدكتور صابر في هذا الشأن قوله «أما الحجاج بالمعنى الفني، فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية (scalaire)، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصله بين سلام.

إن مفاهيم السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي يختصان إذن بالعلاقة الحجاجية، سواء أحددت هذه العلاقة لسانيا أم اندرجت تداوليا. إنه ضمن الحجاج

بمعناه الفني، نفهم إمكانية الدفاع عن أطروحة أولوية الحجاج على الإخبار. إنه من زاوية النظر الإخبارية (المستوفية شروط الحقيقة) <sup>40</sup> «

وربما كانت الرؤيا النبوية المعجزة الباعث المميز لإثارة الاستفهامات والتوقعات التي أحاطت بها فدفعت بالسرد إلى أن يتشكل في صورة مستطيلة الزمن، دائرية من حيث التدفق السردية، وبذلك نعتبر أن رجحان الموقفية على المشهدية أبرز فداذة وخصوصية في قصة يوسف، فهي أرحح قصة أعدت لذلك إذا ما قيست بمثيلاتها في السرد القرآني « و من هنا وجدنا السرد يتحرك بفاعلية الحوار، ويجتاز به أطوار الحدثية، وهو ما يتجلى في قصة يوسف حيث يطغى السرد الموقفية، على السرد المشهدي. بل إن رجحان المنزع الموقفية قد أضفى مستوى السياقات السردية الحوارية في فضاء القصة، وجعلها نابضة بالحياة وبالواقعية <sup>41</sup> ».

ب . شعبة الحوار التغيبي: تستمر السردية في تشعيب الحوار لتستهيض به الفاعلين وتور ملامح الموقفين وهما يتجادبان مفاعلة تقاولية كالذي جرى بين الإخوة ويعقوب لما راودوه عن ارساله ليوسف معهم إذ يقدم لنا الحوار ملامح الإخوة من خلال إدلاءاتهم ومحادثاتهم لأبيهم مجردة من التقريرية المتعملة فهم أهل مراوغة واجترأ أحمق يصطنعون التعالآت ويلتقطونها، فخاطبوا يعقوب بقولهم [ياأبانا]؛ فظاهر هذا النداء واضح صحيح لكن سررائهم تخفي غير ذلك لأنهم عصبية من الشداد الذين سمو أباهم بالضلال المبين، بل إنهم زينوا استدراجهم بحجة التنزه بيوسف مع حفظه وتلك زلة اللسان . والمرء مجبوء تحت لسانه . فمتى كانوا له حافظين وقد دبروا له الهلاك والاقصاء من قبل؟ فضاغفوا الكذب مرتين حين ادعوا النصح والحفظ وعندما تعلقوا بالاستباق وفريتهم على الذئب في موقفهم المتباكي النفاقي بل إنهم باتوا يشاكسون أباهم ويستضعفونه ويستفزونهم.

وقد فترت شدة الحوار بين موقف المطالبة بيوسف وبين موقف العودة من إلقائه في الحب ففي الأول كان الحوار ساخنا متأججا، أما الثاني ففيه فتور لأنهم قضا مأربهم؛ فسيرورة الحوار تتناوب بين الحركية والسكونية تتماشيا وطبيعة الموقف

وفي كل ذلك إحاء بالروح التناقضية التي عرف بها الإخوة خلاف الخطاب العقوي الذي يقدم الأب في صورة الحكيم الفطن والخبير بتلونات الأبناء الضالين فيما ذهبوا إليه وقد عصف الشيطان بأهوائهم ووعدهم بالصلاح بعد الطلاح فكانت وسوسته لهم وسيطا حواريا مفاعلا يدفع بالفاعلين/الإخوة إلى إدارة الحدث وتلك لطيفة فنية معجزة يغرزها الله تعالى في ثنايا السرد إلماعا إلى ما سيصير إليه أمر المخلوق في الحياة وملايساتها، والسرد يوظف فعل الشيطان توظيفا مستساغا لأنه يصدر عن الحقيقة التي تمت في الزمان والمكان فتأتي ناصعة في الفن المعجز حيث يكون صورة حالكة عن نفسيات الإخوة وقد ترصدوا لأخيهم الغوائل فيتنبأ المتلقي بالكثير من شرورهم المتصعدة، وقد يسأل: ماذا فعل الإخوة بوجه أبيهم وقد خلا لهم؟ فلم يفعلوا به إلا شرا و زيادة.

وظل يعقوب النبي الأب العطوف يتسلى بإشعارات الوحي الرؤياوي الأملية، فهي شخصية وجدت لتربي في الناس معاني الصبر والتروي وتسير بالنبي الناشئ إلى ما اقتضته حكمة الله رغم أهوال الحرمان ومرارتها فصمد ولم ترعزه عداوة الأبناء وما أدراك ما عداوة الأبناء فهم أكبادهم. وما هي بعداوة آخريين لذا كانت الصدمة بالغة الأثر وبقدر بلوغها كان الحلم والصبر والتوكل على الله لأن حبه ليوسف حب نبي لنبي.

وإن كان لا بد من السؤال عن صوت يوسف وسط هذه الأصوات فلأنه قطب الرحي الحديثة والمفاعل لها وهو المتحدث عنه بضمير الغائب إلا أنه ذلك الصبي النبي الحاضر في أصوات الإخوة ويعقوب فلم يفاعل الأصوات بعد لأن الأب هو المنافح عنه والمدير لشؤونه والذائد عن سلامته، لكن الإخوة كان همهم تغييب يوسف عن وجه أبيهم كي يخلو لهم وحدهم بحكم غيرتهم القاتلة المترجمة في قولهم {... ليوسف وأخوه أحب إلى أيينا منا ونحن عصبة...} يوسف 8 وكذا قولهم {... يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف...} يوسف 11 فهو خطاب جاف يتم عن موقف إنكاري جاف فلا رائحة للأخوة كأن يقولوا مثلا: [لأخونا يوسف] و تلك هي سمات الاستعلاء والنبد والانبهار بالقوة وخيلاء الحسد المقيت.

وأمام هذه المواقف وقد تمالك على يوسف خطوط عصبية وهو في قلب الفلوات وسط البئر يثلج قلبه وحي السماء يكشفه أسراراً مستقبلية، فيتجدد الحوار الرباني وإن يعده ربه إلا حقاً وسداداً { ... وأوحينا إليه لتبتئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون } يوسف 15، وهذا حوار موقفي لا عوج فيه ولا يختلف عن حوار الرؤيا فكلاهما نفث في روع يوسف بغية التثبيت والنصر وشد الأزر النبوي تسليية، ولم يشهد السرد تسجيل تضجر على يوسف أو اضطراب ما لأنه يعد لشأن ذي عظمة. ج . شعبة الحوار الابتلائي الرسالي: لما كان همُّ السرد المعجز تجسيد القصدية والاختزال فإن الحوار الموقفي جاء مشاكلاً لذلك السرد في سننه المحكوم بالغاية الدينية ودليل ذلك أن الحوار ههنا سيفاتحنا على مقاولات جديدة بظهور أصوات أخرى على ساحة الحوار في حين تغيب أصوات عاينها من قبل كالإخوة ويعقوب، لأن استحضر السردية للأصوات تبع للقصدية المبتغاة وحدثية الزمان والمكان.

فبعد أن هبى يوسف بمدد إلهي وعدة من الوحي لا تنضب وبلغ من الحكم والعلم أن باشر المواقف بصوته ولسانه فاصطدم بالتي هو في بيتها دلالة على الملمح الفني في بناء الشخصية إذ لم يذكر اسم المرأة أو سنّها..إنما ذكرت مصحوبة ببيتها الذي كان مثوى حسنا للكريم يوسف كما الشأن في تسمية زوجها حيث نعته السرد بالذي اشترى يوسف من مصر.

والبيت ههنا خلوة عيش فيها الشيطان فسبحت في هدأتها شرور الشهوة وأحياها في هوى المرأة ونزواتها وقد استقلت بالغلام فكان أن أعوت المرأة يوسف { و قالت هيت لك } وهي مصارحة طرحها السرد طرحاً يوحى بإصرار المرأة وجرأتها المتهورة في ابتغاء التفحش دون رادع يردعها؛ إذ أن يتدخل صوت يوسف { قال معاذ الله } وهو رد موقفي محصن بالعقيدة الراسخة التي تغرس في أتباعها دروساً وعظات تكسبهم المناعة الحياتية؛ مناعة الطهر والتعفف ومغالبة الشهوانية المتعفنة العارضة وتمدهم بجنة التعالي عن دناءات البهيمية وتحثهم على لباس التقوى وسمت المروءة وبفعل الموقف البيوسفي الصامد لم يجيئ الحوار طويلاً لأن مصارعات الاستباق والإعراض والمجوم والاستهواء أغنت عن لغة الكلام وأفضى الأمر إلى لغة الحركات،

فإذا بالسيد لدى الباب فيأخذ الحوار مسارا تصعيديا في الموقف حيث بادرت المرأة بحكمها الجاهز والجائر على يوسف في صياغة موقفية تنبئ عن إخلالها بأداب الكلام وبلوغها من سلاطة اللسان مبلغا يوهم بأنها صاحبة الحق.

ثم يعرب يوسف عن موقفه تجاه الاتهام الصارخ بنفس واثقة متزنة مطمئنة بنجاة الصديق من دون استطراد أو حماقة أو ضعف همة، ويتلو هذا حوار المحاكمة، فيشهد الشاهد بشهادة عينية يملئها الموقف (القرائني) ففيه من الإلماحات ما يثبت مصدر السوء خاصة وأن مقاطع الحوار انقضت فصفا جو الحقيقة باديا مما دفع بالسيد إلى أن يظهر منكمش الشرف باهت الشكيمة فاترها فلم يفتح عن أدنى سمة من سمات المروءة أو الرجولة لأنه أصيب بزوال المهابة وموات الشعور والنخوة؛ إنما هي حرية القصر اللامحدودة التي تخول للنفس أن تسبح في مستنقعات الغي حيث تواصل المرأة غوايتها بأن أوسعت دائرة الحوار (الفتني) فاستدعت النسوة {وقالت اخرج عليهن} فهي مازالت الأنثى التي تفتصر مكوث الفتى في بيتها.

فلما تأكدت من فشل الحوار في المحاكمة تأمر الفتى بالخروج على النسوة لتستثير خيوط الحوار فتحصل على المواقف التي ترتضيها فحاورتهم بتلميح تبعه خروج يوسف عليهن، وههنا نكتة حوارية معجزة في حرف الجر [على] الدال على الاستعلاء المجازي وذلك يناسب زهوها وانتفاشها أمام النسوة لما أضفاه خروج يوسف من أبهة تعود على موقف المرأة بالمدح والثناء، ويصادفن هواها وقد بلغ تسامعهن آفاقا بعيدة، وزين لمن الشيطان ضوضاءهن الأنثوية في أخطر طقوسها الفجورية النذلة تجاه النبي المبلى فتوعده المرأة بالسجن وهنا فتح حوار النجوى مع الله وقد حاولنه في إرغام شموخه، و إذلال كبريائه لكن مواقفهن فشلت وصرف الله عنه كيدهن لأنه نبي مجتبي وليس مجرد شخصية هزيلة هشة البناء فهو الذي: {قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين. فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم} يوسف 33، 34.

وهو ضرب من الحوار (الانزياحي الاستطرادي) الذي يذكي الحوار الموقفي العام بحيوية مفاعلة للأحداث دافعة إياها نحو تكشّفات السرد المستقبلي « فالحوار

بهذا الاستطراد المتواجد، تتعمق وظيفته التعبيرية، الموصولة بالوجدان، فالخطاب بما يأخذ منحى عاطفياً، يعكس العقيدة التي تسكن أعماق الفرد، وتجرده الخالص من أجل تمثلها...»<sup>42</sup>، ومهما يكن فإنه خطاب حوارى (استنجاجى استشفاعى) يلوذ إليه المرسل المضطر فيجانب الساعة وهو الموقف الإلهى الذى لا يغفل ولا يتوانى عن الاستجابة الحقيقية وهذا يطبع الحوار الموقفى الإعجازى بخصوصية متناهية فى تقنيات الحوار.

وتبرم يوسف مما دعى إليه من كيد الجهالة متنتاج عن الفرار إلى الله وقد «تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له إياك وإلقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزل السجن أحب إلي من ركوب المعصية»<sup>43</sup> التي نمقتها المرأة بأسونة التخنت والبغاء .

ويتمد الحوار الابتلايى إلى السجن إلا أنه حوار تأخذ العقيدة مادة له ففي ضوئها يتفاعل يوسف مع أناس جدد أبرزهم الفتيان وقد دخلا معه السجن وكانت الفتوة قاسما مشتركاً بينهم، فما وسم السرد هذين السجينين بالفتوة إلا لحكم كثيرة منها تقاربهما من يوسف فى عوامل عدة كالعمر والقوة وحرارة الحس ونباهة الشباب وحيويته، ومعرفتهما ليوسف وثقتهما به وبإحسانه يهرعان إليه يستنبأه وقد ارتقى منبر تأويل الأحاديث والعلم بخوارق معجزة كإنبائه لهما عن الطعام قبل أن يرزقانه و هذا موقف حوارى يتيح ليوسف نشر دعوة التوحيد وقد أبحر به المقام الروحاني « إلى خطاب مناجاة»<sup>44</sup> يفصح من خلاله عن وجوب هجر الملة المشتركة كملة العزيز وقومه فانزاح الخطاب اليوسفي من محاور المناظرة والتجاوب مع الفتين إلى حوار حجاجى تلقيني.

وهذا لما « يتصدى الخطاب القرآني، إلى محاور الكاذبين، فإنه يصطنع موقف المحاجة الجارفة، إذ يأتي الحوار أحادي (الطرف)، متلاحق الصدمات، حيوي الإثارة، استفهاماً وتنكيراً، وتقريراً، غير متيح لردودهم أن تظهر على صعيد النص بذلك الإلحاح الضاغط من المساءلات، ذات الإيعاز التسفيهي الجلي. وما يفرق بين صيغ الحوار أحياناً، إذ هو من قبيل السرد التنبيهي، الوعظي، الموجه إلى المتلقي، فهو

تدخل ذو قصد استخلاصي، وظيفته تأكيد الحكمة التي يرمي إليها موقف المحاجة<sup>45</sup>، وذلك الذي شرع في تقريره الفتیان عندما استطلبا النصح والتأويل فغرز يوسف هذا الحوار ( النجوي ) الأحادي الاتجاه في الإجابة عما يسألان عنه، فاللامباشرة في الحوار قد تزيل الغشاوات عن صاحبي السجن في أبلغ صورة بخلاف لو اكتفى يوسف بتقرير الفتيا الرؤياوية توأاً، لأنه تبين افتقارهما للوحدانية وانغماسهما في وحل الضلال والإشراك، فبات الحوار ملحا كأعمق أداة للاستدلال والمقارنة « والمناقشة والحوار واستشارة أهل الرأي من العوامل التي تساعد على توضيح التفكير مما يؤدي إلى الاهتمام إلى الحق... واستخدم القرآن أسلوب المناقشة والحوار مع المشركين، وساق لهم الأدلة العقلية التي تثبت بطلان عبادتهم للأوثان بغية إثارة تفكيرهم في أمر آلهتهم، ويهدف إقناعهم بوضاعتها وحقارتها وعجزها حتى يفضح لهم عدم جدارتها بالألوهية»<sup>46</sup>.

ومن اللطائف الفنية المعجزة أن يتخلل النسيان المواقف الحوارية ولا يعيقها فقد أوصى يوسف الناجي أن يذكره عند ربه فأنساه الشيطان ذلك فملىء هذا الفراغ الحوارى بجوار جدير بأن يعلق بالمغزى الديني للسرد وهو استعبار الملك ملأه رؤياه فطبع الحوار آنذاك بالازدوائية لعجز العقول المعطلة عن استكناه الرؤيا الملكية لأنها عقول ران عليها الشرك، إلا أن الناجي كان فطنا منتبها لردّ الملائ على الملك فطلب منهم أن أرسلون، وذلك الذي تمّ لأن الناجي شحن من قبل بجوار يوسفى ( وساطي) يغتنمه السرد ههنا لعقد حلقات المواقف بعضها ببعض، فخبرة الناجي لم تذهب سدى، وإنما من شأن المملكة أن تحفزه على الذهاب إلى يوسف فهي رؤيا مصيرية لا تقتنع بالمطال والمناقشات العقيمة أو اللامبالاة الشيطانية.

فالموقف استعجالي اضطراري أي بالرغم من طابع الشرك الذي تتميز به المملكة إلا أنها تستصرخ بالنبي يوسف عليه السلام لأنه بعث إلى الناس برسالة إلهية ودليل ذلك استجابته للناجي فور بلوغه إليه حيث يسم الناجي يوسف بالصدّيقية، كما يظهر عجز الملائ والناس من خلال فعل [أفتنا] لأن علم التأويل وصدقه مشروط

بصفاء السريرة والسجايا الشريفة ونور الإيمان، وقد أفضى الحوار ( الأدكاري ) هذا بنتيجة صائبة أغاثت الموقف الحرج وأنجحت المملكة من الأفول.

ومن أجل ذلك الانفتاح التنويري الذي أشرفت عليه سياسة المملكة فقد عاد عليها بالسعادة واليقظة يواصل الملك باب الحوار فيأمر بإتيان يوسف إلا أنه يتأبى ويفترض حوار الملك ليديره نحو الوجهة التي تثمر فتخدم الرعية جميعها، إذ ألقت انتباه الملك لاستفهام النسوة، وإدارة المملكة وما يجري بداخلها { ...قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم. قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. ذلك ليعلم أي لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم { يوسف من الآية 50 إلى الآية 53، فولد هذا الحوار (الافتضاحي) براءة يوسف وصحصححة الحقيقة وقد سبر الملك أغوار المكيدة من خلال الأيدي المتقطعة حتى إذا بلغ جذور الكيد وجدها متأصلة في امرأة العزيز وتلك الطريقة الحوارية من إمدادات يوسف فهو نبي يشرع عملية التطهير السلوكي وتغليب الحق على الباطل ليرتدع كل من ضل وكاد؛ إذ اعترفت المرأة بذلك واستغفرت ربه، وذاك مبلغ دعوي أفرزه الحوار النبوي التسديدي القائد للنفس البشرية نحو الرشاد ويتلوه مبلغ ثان أرقى وهو استخلاص الملك ليوسف بعد أن تبين الآيات الحقة، أما يوسف فيظل فاعلا حفيظا عليما لا يزيغ به التمكين والاستئمان عن شرف رسالته وثقل مسؤوليته ولم يكن حبورا بمتاع الدنيا العارضة ورونق السيادة والسمعة الزائفة أو خائنا مضياعا.

من هنا فقد ورد الحوار الابتلائي ( الرسالي ) تحصيليا شموليا ودليله نستشفه من صيغة [فعل] في قوله تعالى { فلما كلمه } والكلام إذ ذاك طويل وجدي يوعز بخطورة ما ستتكفل به الإدارة اليوسفية، في مجابهة السنوات السبع العجاف الياسات، ولم تفصل السردية ثنايا ذلك الحوار « فالإعراب عن نية الاصطفاء كانت صلب ذلك الكلام بدهاء، ولعل الأهمية الأسلوبية التي يمكن اعتبارها لهذه الإثارة السردية الخارجية

هو تخللها لسياق القولية، المترادف بتعاقب لفظ: ( قال) التصريحية، المسندة إلى فاعل هو الملك»<sup>47</sup>.

وإن كان الملك قد أمر بإتيان يوسف من قبل وقد صدر السرد أمره ذلك بفعل [قال] في مطلع الآية الخمسين إلا أن هذا الأمر تجدد مصحوبا بنية استخلاص الملك ليوسف لما علمه عنه من مواقف ذات شأن فكأننا بتكرار هذه العبارة يشي بتميزها عن سابقتها، فهو تصريح حوارى يومئى بخلفية مفادها أن يوسف لم يستجب للمأمورية الأولى لأنها بتراء من التأدب والحرمة ففيها من لغة الاستعلاء والتجرد مما تستأهله نبوة يوسف وكذا إشعار بمنطق المأمورية الذي يستوجب معرفة الأمر بالمأمور حيث لم يكن الملك عارفا بيوسف، ولما توفر ذلك الشرط استجاب يوسف للدعوة حتى يعلم الجميع أنها تلبية بريئة من التزلف المشبوه وإنما هي تلبية للواجب الرسالي المتخفي من وراء الخطاب الملكي الظاهري.

د . شعبة الحوار الاستقطابي: استهلّت السردية هذا الحوار بذكر الإخوة مجددا للدلالة على أن المسار الحوارى العام سينحو منحى آخر غير الذي عايناه من قبل {وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون } يوسف 85، إذ يحيلنا السرد المعجز ههنا على اعتقاد الإخوة أن الذي دخلوا عليه هو العزيز، باعتباره أمين الخزان، في حين كان العزيز هو يوسف الذي نصبته قرارات الحوار الذي جرى بينه وبين الملك، وهكذا تستدير السردية حديثها النقلية الكبرى ليفتح يوسف حوار مع الإخوة الذين غيبوه في الحب وهذه عجيبة فنية يدسها القدر في السرد الحوارى وفي ضوء هذا انقسم الحوار الاستقطابي قسمين، أولهما محاوره يوسف للإخوة قبل معرفتهم لهويته والثاني محاورتهم له وقد فقها أنه يوسف.

فالقسم الأول صدر الحوار الاستقطابي بطلب يوسف للإخوة أن يأتوه بأخيهم من أبيهم وذلك من الآية التاسعة والخمسين إلى الآية الثامنة والثمانين ( 59 . 88) والقسم الثاني يفاجئ الإخوة بانكشاف أمر يوسف وأخيه فيطلب منهم أن يأتوا بأهلكم أجمعين ويتحدد بين الآية التاسعة والثمانين إلى الآية الثامنة والتسعين (89 . 98). فعن القسم الأول نسجل انطلاق يوسف في إدارة الخزان والتحكم في

مصارفها على الصعيدين الحضري والبدوي لذلك سن لنفسه سياسة كلامية لبقة استدرج بها إخوته فشرط عليهم إحضار شقيقه، وقد يبدو تعامل يوسف مع إخوته عندما جعل السقاية في رحل أخيه معاملة دهاء ومكر لكنها في الحقيقة معاملة مأمورة فهي كيد مدبر من الله تعالى العليم بما ستؤول إليه الأمور { كذلك كدنا ليوسف } كيدا إلهيا قصديا، وبذلك تصرف يوسف مبدئيا باستقطاب الشقيق وهو فعلٌ محمودٌ عواقبه، فتمّ حجز الشقيق بحيلة مشروعة لأن الإخوة مازالوا متشبثين بعلامات الجفاء وطبع الإقصاء إذ قالوا ليوسف { سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون } فأصروا على الإتيان بشقيق يوسف لأن مصالحهم واكتياهم عالق بذلك لكنهم لم يتورعوا بعد فهم يخفون ليوسف وشقيقه العداوة والبغضاء فأسندوا الأبوة لشقيق يوسف وحده { سنراود عنه أباه } وكأنهم ليسوا أبناء يعقوب أو إخوة يوسف وشقيقه وذلك دلالة على الحقد الدفين في موقف ( ترمي أحق ) قائم على التناقض الصارخ فهاهم ينعنون ذلك الشقيق نعتا يوحى بالحبة { ... فأرسل معنا أخانا } { ... ونحفظ أخانا } لكنه ادّعاء سببه الاضطراب والمداهنة والتملق، ولم تكن محبة حقة لذلك وقف يعقوب إزاءهم موقفا أكثر صرامة وشدّة تحملهم على الموثق حتى لا يلدغ من الجحر مرتين في حين كان رؤوفا بهم لما أوصاهم بالدخول من حيث أمر، وتلطف بهم بقوله [يابني] فلم يسخط عليهم ولم يدع الله بإهلاكهم... ولم تغير المحن والابتلاءات من وقاره وحكمته شيئا.

ولما تأكد يوسف من إيواء أخيه الشقيق شرع في تأسيس حوار موضوعي يعزز به مشروعية دس السقاية وكأنها حوار مجازي يساعد على استقطاب الشقيق استقطابا مغللا، فما يوسف إلا مفاعلٌ أصلٌ لذلك الحوار الحي الساخن الذي آل إلى محاكمة الشقيق في شأن الصواع المسروق، وهي حوارية مكثفة جمعت عمال الملك ويوسف والإخوة والعرير « وهو مشهد مثير حافل بالحركات والانفعالات والمفاجآت »<sup>48</sup> لأن الأمر جليلٌ وما أدراك ما سرقة صواع الملك، والقحط يتوعّد حياة الناس في الحاضرة والبادية، وإن هي إلا سرقة مدبرة كي يفعل يوسف تعبيرا حواريا واسع النطاق تتسامع به الرعية كلها، وبغية أن يحسس الإخوة بجرمهم ويربط الجرم بجارتهم لخزائن مصر

والاكتيال وهم لا يدرون أن مديرها يوسف، كما أنها ثورة كلامية تنجح حجز شقيقه في ظل الملابس التي تفاجيء الإخوة وقد عهدوا رتبة وسكونية جعلتهم في انتفاش ورخاء كثيرا ماكان حافرا على تطاولهم في الاستعلاء والحيف.

تسارعت تلك الحوارية ضمن توتر فوري أطرته الأداة المقولية [قالوا/قال] وقد تواترت المخاطبات تباعا حول التحقيق في أمر الصواع في تسعة مواضع مرتبة بسردية محبوكة تنظمها المقولات المسندة لضمائر المتفاعلين وهم يتناوون بينهم السؤال والحواب منشئين هذا الموقف الجامع بين الحدة و الجدية:

قالوا [الإخوة]: ...ماذا ← سؤال استفساري مفجوء.  
تفقدون؟

قالوا [يوسف والعمال]: ← جواب استعظامي على السارق ومغر لمن يدل عليه.  
نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم

قالوا [الإخوة]: تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وماكنا سارقين

قالوا [يوسف والعمال]: ← سؤال استدراجي واع بخفايا الموقف.  
فما جزاؤه إن كنتم كاذبين

قالوا [الإخوة]: جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

قالوا [الإخوة]: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل

قال [يوسف]: أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون

قالوا [الإخوة]: يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين

قال [يوسف]: معاذ الله ← حكم يحقق الاستقطاب المبدئي.  
أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون

والملاحظ في تسلسل الأداة التقويلية [قالوا] أنها واحدة في بنيتها اللغوية، لكنها تختلف في مدلولاتها من خطاب إلى آخر قياسا بتناوب الأصوات المفاعلة للموقف دون أن تطرأ بين الصوتين المتعارضين نبوة، ومن الإشارات المعجزة أن يترادف المؤشر الإسنادي [قالوا] مرتين: {قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين... قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل...} والفاعل واحد هو الإخوة «فيما تخلل فاصل تعقيبي القول بين التصريحين»<sup>49</sup> هو من شأن المشهدية السردية في قوله تعالى {فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم}، وهذا العارض المشهدي وجيز يضيء للمتلقي ما ينتج عن مقولات المتحاورين من أحداث فورية «فأغلبية العوارض السردية كانت وجيزة تربط مستويات القصة بفاعلية الحوار»<sup>50</sup> لذلك لم يحدث الشرخ بين التصريحين بسبب التلاحم المتشابه بين الموقفية الحوارية العارمة والمشهدية النجزية.

والجميل أيضا في نمطية المؤشرات الإسنادية أن ترد بتنوع تقتضيه المسارات الحديثة فلما كان الموقف مفتوحا مطلقا على عديد من الأصوات المشاركة فقد ورد بصيغة [قالوا] لأن الحوار لم يعين صوتا دون آخر في عملية التحقيق إنما دمج صوت يوسف في صوت العمال والقائمين على الكيل، لكن لما باشر يوسف عملية التفتيش عن الصواع في أوعية إخوته وعشر عليه في وعاء أخيه الشقيق، فلت من السنة الإخوة

ذكر يوسف فاتخذ الحوار مجرى جديدا وأكثر تقييدا حيث ورد بصيغة [قال] العائدة على يوسف.

ومن الأضراب الحوارية التي تكاشفنا عنها قصة يوسف الحوار الجماعي الخفي الذي تميز به الإخوة وهو يشي بطباعهم الخبيثة التي تُبطن ليوسف وأخيه الدوائر، وكم هي عديدة ومتلونة حسب تعدد أصواتهم، إلا أن الله تعالى قد فضح بعضا منها كالوصية التي أقر بها الكبير في قوله: { فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق }، فكان أمراً شديداً يحمل في طياته تناقضا صارخا، فمن جهة قال الإخوة: [ياأبانا] ومن جهة أخرى قالوا: [إن ابنك]؛ حيث أسندوا الشقيق إلى يعقوب ولم يقولوا مثلاً: [إن أحنانا]؛ إثباتاً لعنادهم الذي يسكن قلوبهم، وقد وردت هذه الخلاصة التي نقلها الإخوة . عن كبيرهم . إلى أبيهم دون تحوير وهذا ما أثبتته السرد إذ اختزل هذا الحوار فلم يكرره ولم يغيره إنما أبقى على صورته الأولى التي أتى بها الكبير.

ويقابل يعقوب هذا الموقف بحوار المناجاة في [مونولوج] تضرعي بثي إلى الله وهو موصول بالحوار الرؤيائي المكثف، وأما الأبناء فلم يزداهم ذلك إلا جلبة واستهتارا بل تمنوا هلاك أبيهم وهذا معلم حوارى عميق تتكشف من ورائه حقيقة ما يدسونه ليوسف وشقيقه وأبيهما، بل إن عتوهم المتصعد أفقداهم رشدهم فصاروا إلى يوسف يلحون عليه أن يكيل لهم ويتصدق عليهم وهم يدعونه بالعزير، فلولا تحفي يوسف عنهم بتلك اللباقة الحوارية العالية المقام، لمكثوا على هذه الحال التي تراوح بين الإقبال على الإهلاك والأذى . مع تحمل يعقوب لذلك . وهي حال يصورها الحوار الموقفي تصويرا واضحا فلا ينغلق فهم المتلقي رغم أن مفاعلات مختلف هذه المواقف متداخلة فيما بينها، وذاك ديدن السرد المعجز الذي لا معقب له.

وههنا القسم الثاني من الحوار الاستقطابي وفيه أزاح يوسف القناع عن صوته فأنجر عن ذلك البوح صدمة حوارية للإخوة أعادت إليهم بعض رشدهم وذلك بعد استدراجهم بأسلوب حوارى دعوي شعاره [العفو عند المقدرة] لذا «أتاهم من جهة الدين وكان حليما موقفا فكلهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه النائب فقال: هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون) لا

تعلمون قبحة فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحة فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح

يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة<sup>51</sup> « كما كان تنبيها لهم على مآثمهم وبلوغها مبلغا خطيرا ومن أدلة ذلك مكوث كبيرهم في مصر وهو مكوث يعزز استقطاب يوسف لشقيقه بل كان ربطا لاستقطاب تال وأوسع؛ فما إن اعترف الإخوة بذنوبهم ليوسف دعاهم إلى حمل رسالة القميص وهي رسالة حوارية مجازية لا يفقه لغتها إلا نبي.

قال [يوسف]: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون	←	استفهام تنصحي حميمي.
قالوا [الإخوة]: ائناك لأنك يوسف	←	خطاب متصدع من شدة المفاجأة وثقل المظالم.
قال [يوسف]: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا...	←	خطاب تقرير شاكرا، تكلؤه عين الله.
قالوا [الإخوة]: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين	←	قسم واعتراف يوحى بالتندم والاستسلام.
قال [يوسف]: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم	←	خطاب صفوح ذو تجليات تربوية سامقة.
قال [يعقوب]: أبوهم إني لأجد ربح يوسف لولا أن تفندون	←	تقرير يحق الغاية من القميص كأداة حوارية.
قالوا [الإخوة]: تالله إنك لفي ضلالك القديم...	←	تقهقر إلحماقة من جديد وتجروء على الأب مما يوحى بعدم التطهر من المعصية بعد.
قال [يعقوب]: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون	←	تزكية مشروعة معللة غايتها ترشيد الأبناء.

أوبة إلى الحق من بعد ما رأوا الآيات.	←	قالوا [الإخوة]: ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين
مصابرة موقنة بالعواقب المسطرة في الرؤيا الأصل.	←	قال [يعقوب]: سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم

مقاولات مصفوفة بتقنية معجزة بين صيغة [قال] و[قالوا] في تساوق متين البنية، إلا أننا نرقب نقلة معينة في المقالة السادسة حيث تعين الفاعل/يعقوب بلفظ [أبوهم] لتعلم النقلة الحوارية من يوسف إلى يعقوب وهي التفاتة حميدة في تجاوز الأصوات المختلفة رغم أن المؤشر الإسنادي يظل واحدا هو [قال]، والمراد من جمع هاتين الحادثتين المتباعدين في المكان بين الإخوة ويوسف وبين الإخوة ويعقوب، أن نستنبط تلون مواقف الإخوة تجاه يوسف ويعقوب، فهم متذبذبون في حسم مواقفهم فلا تردعهم إلا البينة القاطعة فيها حاز يوسف ويعقوب التأثير على أولئك فغدوا على التوبة مقبلين، و إن كانت نفوسهم مطبوعة « على اللؤم وسوء الطبع، وجبلت ذواتهم بالفساد ..

إن سوء الخلق، ونقض العهد، والتحلل من المواثيق جبلة في نفوس هؤلاء... وإذا استعرضت قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم كله وجدتها تلح على الخسة في طباعهم والفساد في نواياهم ... لقد استعرضت قصة يوسف صفات الجذر الأول لبني إسرائيل... استعرضت ذلك بأسلوب فني بعيد عن المباشرة التقريرية، فكانت بهذا المنهج تعطي المثل النموذجي للشخصية القصصية<sup>52</sup> «حيث إن الحوار الموقفي يقلب أصوات الفاعلين على وجوه عدة، هذا فضلا عن الإيحاءات التي تفتح للمتلقي باب سبر أغوار مضامين وجماليات؛ من شأنها أن تمدد أدوات البناء الفني للسرد الناجح وتطلعه على دراسة النفسيات ومكونات الشخصية عند الأقسام والأجناس وقد رصدها القرآن رصدا صحيحا عدلا.

هـ . شعبة الحوار التعقيبي الخاتم: هو الحوار المحقق لنجاح التجميع الذي ظل يوسف يناشده، لأنه يتجاوب مع الحوار الرؤياوي التأسيسي في تناظرية معجزة

وكأنهما حواران مؤطّران للقصة أو مصراعان لباب فني في غرفة السرد اليوسفي الأحسني.

وبتمام اللقاء الكلي لا شك أن حوارا حبوريا طويلا قد جرى بين يوسف والشقيق والإخوة والأبوين جميعا ولخص في الترحيبية التي أضفها يوسف على الأهل فأمنهم وطمأنهم وأكبر أبويه رفعا على العرش وخرّوا له سجدا... وكل ذلك حوار ضم التحدث بالنعمة ثم راح يوسف مخاطبا أباه موقعا حوارا تعقيبيا يؤكد على تمام الرؤيا وتأويلها المباركين ومقررا لمصدر العداوة والفتن والهلاك وهو الشيطان الذي حذر منه يعقوب يوسف وفي هذا بيان للفعل الشيطاني في احتناك الإخوة حتى ذهب به المقام إلى مناجاة ربه وهو العبد الشكور» ينزع نفسه من اللقاء والعناق والفرحة والابتهاج والجاه والسلطان والرغد والأمان... ليتجه إلى ربه في تسبيح الشاكر الذاكر... رب إني لا أسألك سلطانا ولا صحة ولا مالا رب إني أسألك ما هو أبقى وأغنى (توفي مسلما وألحقني بالصالحين) «<sup>53</sup>؛ فالله خير مردا، فمن أجل أن يحظى يوسف بالرضى من ربه يوم لقائه هرع إليه وأعرض عن التهافت على متاع الدنيا ونعيمها وملكها الفاني وبهذا تحقق فاعلية المرسل/يوسف الغرض الديني الذي ينفخ في القصة القرآنية روح الخلود الفني المتمثل في التصوير الحسي الذي يحاور العين كأداة إدراكية والتصوير الادكاري الذي يحاور المخيال المتلقي، والجدول التالي يرصد المادة الحوارية ضمن المنظومة التقويلية:

نمط الحوار	المؤشر الإسنادي للتقويل	الأمر	الاستفهام	النهى	النداء	الآيات
رؤياوي تأسيسى	2	/	/	1	2	6 ← 4
تغييبي	5	1	1	/	2	14 ← 11 18 + 17
ابتلائي رسالي	23	14	4	/	7	23 29 ← 25 34 ← 31 41 ← 36 55 ← 43
استقطابي	35	17	8	3	10	61 ← 59 67 ← 63 75 ← 70 98 ← 77
تعقيبي خاتم	2	3	/	/	2	100 ← 99
نسبة الحوار في السرد العام						% 78,57

الملاحظ أن الموقفية ههنا كادت تغطي مساحة السرد، فبالحوار تفتح القصة [الآيات 4 ← 6] وبه تختتم [الآيات 99 ← 101]؛ فكان عدد الآيات التي ذكر فيها الحوار سبع وسبعون [77] آية، فتعددت أضرب الطلبية الحوارية وعززتها المؤشرات الإسنادية المكثفة التي بلغت سبعا وستون [67] مؤشرا يدل على الفاعلية والحيوية العارمة في النص اليوسفي وقد مثلت مجموعة من المفاعلين عبر خمسة أنماط حوارية اتسمت بالتجدد والتنوع والانتشار عبر حيز زماني مكاني.

ج/ حاجية المشهدية المركزة وتغزرها التعاضدي التدافعي في بنية السرد: ومهما يكن من غلبة الحوار الموقفي على مساحة القص اليوسفي إلا أنه تعاضد مع المشهدية السردية وتدافعا مدافعة فنية محبوكة بشكل تشابكي» فإن القصة تنزع إلى السردية الاستعراضية، وتزواج بينها وبين الحوار في تشكيل بنيتها. وهكذا نجد السارد (الإله) يسجل مبادئه السردية بمسكه مباشرة بجبل القصص، وذلك بعد الآية (6) بقوله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) يوسف 7 . فالتدخل السردى هنا، وإن تضمن الحوار! إذ قالوا ليوسف وأخوه... قال قائل منهم... يوسف 8 ، 10 فإنه يسرد الحدث، وينقله، ويروي فحواه، فالحوار المدرج في السياق هو فعل نقلي، ترويه السردية، ويخبر عنه السارد.. على أن تسلسل السردية الخبرية يعطي للحوار تموضعا يغدو به مساقا انبثاقيا، أو مراوحة فنية، يتحول فيها السارد من الإفضاء الإخباري الروائي، إلى الإفضاء المباشر بواسطة الحوار<sup>54</sup> وهذا إشعار اعجازي يحمل دلالة النص القرآني المسند إلى المولى تبارك وتعالى، فالقصة القرآنية مهما تجمعت الأحداث والفاعلين واحتوت المواقف فإنها محاطة بالغللاف الفني الوحيي الخليل على الخالق تعالى « فالسارد في القرآن معين بصيغة تحيل على الله؛ (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ) يوسف، 3»<sup>55</sup>.

فضمير [نحن،نا] يحضر بقوة في المشاهد السردية المحشوة في السرد وهي متفرعة عن الآية الثالثة التي يصرح فيها الله تعالى أنه القاص الموحى والفاعل الكلي الذي يفري وقائع الحدئية السردية والحوارية و« قد أخذت منحى حسميا يباشر فيه الفاعل الكلي (الله) الأمر، بقدرته »<sup>56</sup> كقوله تعالى {...وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون} يوسف 15 وهو ضرب من ضروب الحوار، يأخذ في الآن عينه صيغة السرد المشهدي وهو تقاطع سردي معجز إذ الله تعالى يكشف ذلك الحوار الخفي دلالة على أنه حوار ينطبق مع السرد ومنه فحقيقة هذا التقاطع تملي علينا أن نعتبر الحوار إخبارا في الوقت نفسه قد ينقل الإخبار الحوار أحيانا وتلك جدلية معجزة

تقر انعدام الفصل بين الموقفية الحوارية والمشهدية السردية ومن ذلك أيضا ما ورد في المقاطع المشهدية التالية:

{...وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين} يوسف 21، 22 .

{...كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} يوسف 24.

{وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون} يوسف 56، 57.

{...وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون} يوسف 68.  
{...كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم} يوسف 76.

وتتفق هذه المسرودات المشهدية في إحالتها على المشيئة الإلهية المتمثلة في السارد الكلي وارتباطها بمنزول الوحي، كما أنها مشاهد تساند الفاعل المرسل فهي بمثابة الظهير الذي لا يحول، واصطبغت بالا فضائية والتعقيبية التي تتلو الكتل الحديثة الحوارية فيحصل بها ختم النتائج المنبثقة عن تفاعلات الحوار لذا نراها مقاطع تبدأ غالبا بلازمة هي [كذلك] التي تسند على المعطيات والمثيرات السردية المصاحبة الفاعل المرسل وباقي الفاعلين، وتصدر تلك التعقيبات دلائل المساندة الربانية للفاعل المجتبي كالإحسان والإخلاص والتقوى والعلم...

وتلحق بالمشهدية بعض المقاطع التي يرصد فيها تعالي حيثيات الحديثة ومواقف المفاعلين للوقائع المغروزة في السرد وقد تتواشج مع الحوارية أحيانا مثل قوله تعالى: {وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون. وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من

الزاهدين. وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا... { يوسف 19، 20، 21 .

. {ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين} يوسف 35.  
. {وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون} يوسف 62.  
. {ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون} يوسف 69.

ويمكن أن نشير ههنا إلى المادة الحوارية الراجحة على المشهدية.  
وكأننا بالسرد الروائي ههنا يتكلف بأن يروي المشاهد عن بعد دون استنطاق الفاعلين، فلعلها مشاهد ضمت فاعلين لم يكن لهم باع كبير ومدد طويل في الحوارية كالسيارة والذي اشترى يوسف من مصر والشقيق فتحدث عنهم السارد الكلي في سياقه.

فأزجى الله تعالى [السارد الكلي] الحديث عنهم في سياقة سردية تعجيلية ومضمية «بوصفه دليلاً يَمْضِي بالحديثية قدما. إن لهذه التدخلات فاعلية تقويلية إشارية، أي إن التدخل السردى حين يسجله السياق، فلكي يرسل وحدة إخبارية، لها قيمة ذاتية (كإشارة كشفية)، وأخرى موضوعية تنجز به السردية معطى إخباريا إضافيا، لما يتميز به الموقف الحوارى القرآني من قصدية وتركيز، ومن إنارة داخلية، تغني عن الوصف الخارجى»<sup>57</sup>.

فلا داعي لاستبحاث المتلقي عما دار من حوار مفصل من وراء تلك المقاطع المشهدية لأن الحكمة من وجود أولئك الفاعلين أن يؤدوا حضورا كونيا داخل المواقف الحوارية وليس شرطا أن يقفوا مواقف تستدعي أن يلقوا بأصواتهم داخل المسار السردى وذاك واضح في السيارة العابرة وفي الذي اشترى يوسف من مصر لأن المقام يفيد عروة حدثية تخلو من مفاعلة حوارية موقفية حيث لا سبب كائن لإنشاء ذلك، والأمر نفسه بالنسبة ليوسف وشقيقه لأن العلاقة صفية بينهما لذلك لم نسمع

الشقيق تكلم أو أحدث فعلا فموافقه سكونية منصهرة في إيواء يوسف له أو في سجوده مع إخوته في آخر المطاف.

ومهما قيل عن السردية المشهدية والسردية الموقفية فإنهما سردية كلية واحدة تحضنهما مقدمة السورة وخاتمتها التي تفصح عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كفاعل مرسل ينزل عليه هذا النص السردى الأحسنى، والحاضنتان السوريتان المتناظرتان لقصة يوسف هما الآيات [ 1 ، 2 ، 3 ] بداية والآيات [ من 102 إلى 111 ] نهاية... فهي السورة القصة الأحسنية المعجزة.

### خاتمة بالنتائج والمقترحات:

هذا وإن المقام يؤكد ضرورة تعجيل النظر في هذه البحوث وتنقيحها وتشجيعها وضبطها ثم نشرها ثم نقدها وهي التي تعنى بهذا الباب في عالم إنساني شهد وما يزال يشهد زخما معرفيا وثورة فكرية وتناقضا إيديولوجيا وحركات خطيرة وأخرى إنسانية ودية تسامحيه . . . بخصوص الحوار بين فصائل البشرية - اليوم - في كل مستوياتها وباختلاف التجمعات وشتى التشرذمات حول الخطاب الديني والفكري والسياسي؛ ومدى الدرجة العالية الخطورة في البحث عن الخلاص والنجاة.

من أجل ذلك أرى ألا نخرم غير المسلمين الفرصة السانحة بالدعوة إلى عقيدة التوحيد النيرة واضحة سهلة من غير تعقيدات وخلفيات خاصة؛ لأنها رسالتنا نتحمل مسؤولية تأديتها وتقديمها دوما بالأوجه الملائمة كي تيسر مآخذها لأولئك؛ ومن تلك الآلات أذكرها ههنا:

1/ التعجيل فورا بإعادة النظر الحضيف المسؤول في تقديم العربية وعلومها تعليما وتديسا للناس؛ لأنها الخطوة الأولى لإبلاغ الرسالة "العالمية" الإسلامية.

2/ بحث السبل الوطيدة لنشر التعريف بأخلاق النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - من جهة خصائص تربيته الناس وطرائق دعوتهم وكيفيات تديسهم وإقناعهم في النماذج العديدة الجليلة.

- 3/ تفعيل هذه الدراسات وإرسالها إلى المهتمين بشأن الإسلام والمسلمين والدعوة إلى الله في كل بقاع العالم، وفتح أبواب البحث الجامعي هناك بهذا الخصوص.
- 4/ العناية بما توصلت إليه البحوث العلمية في هذا الصدد داخل الأوطان العربية والإسلامية وخارجها ثم ترجمتها وإيصالها بطرق نشر أطاريح البحث العلمي الأكاديمي، وكذا الشبكة العالمية والمنتديات والقنوات الإعلامية والصحف والمؤتمرات وسائر الوسائل الإيصالية والتوصيلية.
- 5/ نقد ذواتنا في تعاملنا مع كتاب الله تعالى من حيث العمل به وفهم بلاغته وغاياته من خلال البرامج والمناهج العلمية في كل مراحل التدريس للناشئة؛ وذاك أصل الأصول.

### الهوامش والحواشي

1. د. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص: 117
2. صابر الحباشة، التداولية والحجاج - مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق - سوريا، 2008 م ص 7
3. السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ص: 73
4. المرجع نفسه، ص: 77
5. د سليمان عشراقي، الخطاب القرآني - مقارنة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1998، ص: 182 .
6. سورة الأنعام، الآيات: من: 76 إلى 79:
7. سورة الأعراف، الآيات: من: 142 إلى 144:
8. سورة مريم، الآيات: من: 1 إلى 6:
9. سورة الأعراف، الآيات: من: 148 إلى 151:
10. سورة الصافات، الآيات: من: 99 إلى 100:
11. سورة يوسف، الآيات: من: 4 إلى 6:
12. سورة العلق، الآيات: من: 1 إلى 5:
13. سورة الأعراف، الآيات: من: 19 إلى 25:
14. سورة النمل، الآيات: من: 38 إلى 40:

- 15 . سورة البقرة، الآية:258
- 16 . سورة هود، الآيات: من : 25 إلى 49
- 17 . سورة هود، الآيات: من :50 إلى :60
- 18 . سورة هود، الآيات: من :61 إلى :68
- 19 . سورة النمل، الآيات: من :17 إلى :19
- 20 . سورة المائدة، الآيات: من :27 إلى :30
- 21 . د . سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص:183
- 22 . ينظر، سورة : النساء، الآية :109، هود، الآية: 32، غافر، الآية :5 ، الحج: الآية :68 ، المجادلة، الآية :1 ، هود، الآية :21 ، الأنعام، الآية :121 ، الأنعام، الآية:25 ، الكهف: الآية :54، البقرة، الآية :197
- 23 . د . سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص:163
- 24 . انفسه، ص:173
- 25 . محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989 ، ص:90
- 26 . سورة الأنعام، الآيات: من :75 إلى :79
- 27 . سورة الأنبياء، الآيات: من :51 إلى :70
- 28 . سورة المائدة، الآيات: من :110 إلى :115
- 29 . سورة الكهف، الآيات: من :32 إلى :44
- 30 . سورة الزخرف، الآيات: من :15 إلى :19
- 31 . د . سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص:80
- 32 . محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر -تونس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان -ليبيا، ج 27، ص:203
- 33 ، نفسه، ص:207
- 34 نفسه، ص:188
- 35 .عبد الحلیم بن عیسی، مقال (البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم " سورة الأنبياء نموذجاً"مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد 102 السنة السادسة والعشرون - نيسان 2006 م - ربيع الثاني، الموقع الإلكتروني :
- <http://tafsir.net/vb/showthread.php>
- 36 . د . سليمان عشراقي، الخطاب القرآني ، ص :182

- 37 . السابق، ص: 185  
38 . نفسه، ص: 184  
39 . السابق، ص: 185  
40 . - صابرة الحباشنة، التداولية والحجاج، ص 21.  
41 . د سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص: 211  
42 . السابق، ص: 190  
43 . الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت ج: 2، ص: 255  
44 . د سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص: 189  
45 . نفسه، ص: 188  
46 . د . محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، لبنان ط2، 1985، ص: 153، 154.  
47 . د . سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص: 209  
48 . سيد قطب، في ظلال القرآن، مج: 4، ج: 13، ص: 2019  
49 . د عشراقي سليمان، الخطاب القرآني، ص: 190  
50 . نفسه، ص: 190، 192  
51 . الزمخشري، الكشاف، ج: 2، ص: 272، 273  
52 . د . خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآني - منهجها وأسس بنائها - دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، ص: 203، 204، 205  
53 . سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت / القاهرة طبعة 12، 1406 هـ / 1983 م، مج: 4، ج: 13، ص: 2029، 2030 .  
54 . د سليمان عشراقي، الخطاب القرآني، ص: 206، 207  
55 . نفسه، ص: 201  
56 . نفسه، ص: 201  
57 . السابق، ص: 210